



المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
<http://univ-eltarf.dz/fr/>



تجليات نقد النقد في الخطاب النقدي الجزائري

The Criticism of criticism in Algerian critical discourse

عمارة عبد الرحمن (طالب دكتوراه سنة 2) جامعة يحيى فارس المدية

أ.د حميداتو علي (جامعة البليدة 2 لونيبي علي)

ملخص:

شهد النقد الجزائري تطورا على مستوى المضامين والمصطلحات والطرائق والإجراءات. وفي خضم هذا التطور، هو بحاجة إلى عملية مراجعة ذاتية، يقوم بها على مستوى ذاته أولا، وعلى مستوى الخطابات النقدية التي يستوردها عبر الترجمة ثانيا، وهذا في إطار ما أصبح يسمى منذ فترة غير بعيدة بنقد النقد، والذي سنحاول أن نسلط الضوء على بعض تجلياته في الخطاب النقدي الجزائري.

الكلمات المفتاحية: نقد النقد؛ الخطاب؛ النقد الجزائري.

Abstract

Algerian criticism has evolved in terms of content, terminology, methods and procedures. In the midst of this development, it needs a process of self-revision, first at the same level, and second at the level of critical speeches imported through translation, in the context of what has not long since been called criticism of criticism, some of which we will try to highlight in Algerian critical discourse.

Key words : Criticism of criticism, discourse, Algerian criticism.

مقدمة:

حينما نقلب صفحات كتب النقد الجزائري، نجد أنها تتنوع وتختلف في المواضيع التي تتناولها بالدراسة، ناهيك عن أنها لا تخرج كثيرا عن الإطار النقدي المتعارف عليه، والمتمثل في أقطاب التواصل المعروفة: المرسل، والخطاب والمرسل إليه، فهي إذن مقاربات للنصوص الأدبية، وفق مناهج سياقية وأخرى نسقية؛ تهتم الأولى بما أسهم في تشكل النص الأدبي منذ كان فكرة إلى حين استوى عملا أدبيا؛ أي أنها سببية إلى حد ما، فيما تهتم الثانية بالنص الأدبي في ذاته، لاستكناه جمالياته البنيوية والأسلوبية والسيمائية، وآليات اشتغال أدوات النص التي تعد في أصل الأمر علامة لغوية.

لقد كان هذا هو مجال اشتغال النقد الأدبي في شقيه السياقي والنسقي، أو ما يعرف لدى بعضهم بالمناهج الحداثية وما بعد الحداثية. أما المجال الذي نود الخوض فيه، فإنه لا يختلف كثيرا عما ذكرنا، ولكنه ينصرف عن نقد الأدب كهدف نهائي، إلى محاولة نقده مرات أخرى كمرحلة من المراحل دون أن تكون تلك المرحلة هي آخر محطة. إننا نقصد ههنا ما صار يُعرف بنقد النقد، فماذا يكون هذا النقد؟ وهل له تجليات في خطابنا النقدي الجزائري؟ هذا ما سنحاول مناقشته في بحثنا.

1- نقد النقد، المصطلح والمفهوم:

قال الناقد التونسي (عبد السلام المسدي) في سياق حديثه عن تطور النقد الأدبي: "أن النقد الأدبي الحديث يتطور بنسق بالغ السرعة، ولكنه نادرا ما يفرغ لنفسه ببعض الاستبطان النقدي في مستوى المعرفة الكلية، ولذلك ترى الأغراض يتوالد بعضها من بعض، وكذا المرجعيات والمناولات، وكأنها في تعاقب خطي أو ارتقاء لولبي. ويغيب عن المتابعين للشأن النقدي، وأحيانا عن ذوي الأمر في هذا وذاك، أننا نعيش لحظة تاريخية مخصصة هي لحظة انفجار النظرية النقدية"¹

لقد شخص الناقد الإشكال الذي يعيشه النقد الأدبي، ولكن ماذا عن إشكالية ترجمة المصطلح؟ هل مازالت حيث لا تستقبل من جديد النقد إلا الذكريات، كما لا نستقبل من ضوء النجوم إلا ذكرياته بفعل استحالة معرفة مواقعها الموهلة في البعد، بسنوات ضوئية لا يبلغها عمر الإنسان القصير؟ وبالتالي، يصبح الإحاطة بما جدّ في الساحة النقدية ومحاورته في مضامينه مستحيلا، بفعل التأخر الزمني عما مضى وعما هو آت؟

يرجع معظم الدارسين مصطلح (نقد النقد) إلى (سامي سويدان) مترجم كتاب (تزييتان تودوروف) (نقد النقد رواية تعلم)، ويعتبرونه أول من أطلق هذا المصطلح من زاويته كـ مترجم. يقول (تودوروف): "الظاهر أن الفرنسيين لا يقرأون، هذا مع العلم بأن في الإحصاءات الدامغة بهذا الصدد خلطاً عشوائياً بين الأدب الراقى والأدب الوضع. بين الأدلة السياحية وكتب الطبخ. كما أنّ الكتب التي تتناول الكتب، بتعبير آخر الكتب النقدية، لا تشدّ اهتمام غير أقلية بسيطة من هذه المجموعة من القراء القليلة العدد أصلا: بعض الطلاب وبعض المتحمسين. إلا نقد النقد هو تجاوز لكل حيّ، علامة على تفاهة الأزمنة على الأرجح: فمن ذا الذي بإمكانه أن يجد فيه فائدة ترتجى؟ إنني أرغب أولا في معاينة الكيفية

التي تم فيها التفكير بالأدب والنقد في القرن العشرين؛ وأن أسعى في الوقت نفسه لمعرفة ما قد تكون عليه فكرة صحيحة عن الأدب والنقد²

عندما نطالع هذا الاقتباس، لا نجد تعريفا واضحا لنقد النقد؛ فالرجل يقوم بتشخيص قلة المقروئية لما نسميه نقدا، فما بالك بنقد النقد؟ إن الحديث عن نقد النقد بالنسبة إليه، أمر مؤجل طالما لم ينل النقد الأدبي المكانة التي يستحقها.

وحين نؤصل للمصطلح تاريخيا، نجد أنه قد سبقت هذه الترجمة مقال، كتبه (جابر عصفور) قائلا: "إن مصطلح ما بعد النقد مستعار من المنطق الرمزي عبر (علم اللغة)؛ ذلك لأن (مابعد النقد) هو عملية مراجعة تشبه -في جذرها- العملية التي تراجع بها نفسها اللغة باستعمال كلماتها... قولٌ يراجع (قولاً) للتأكد من صحة عمل الجهاز اللغوي أو النقدي"³

ويقول في سياق آخر إن نقد النقد هو عبارة عن "قول آخر عن النقد، يدور حول مراجعة "القول النقدي" ذاته، وفحصه، وأعني مراجعة مصطلحات النقد، وبنيتها المنطقية، ومبادئه الأساسية وفرضياته التفسيرية، وأدواته الإجرائية"⁴

ويذكر أيضا أن نقد النقد "متصل بالهرمنيوطيقا، وإن تميز عنها، إذ إنه بمثابة دائرة المراجعة في النشاط المرتبط بالأدب. وإذا كان هذا النشاط يقوم -في جانبه الأول- على العمل الأدبي باعتباره قولاً يشير -أو لا يشير- إلى الواقع الفعلي، ويقول -أو لا يقول- شيئا عنه، فإنّ هذا النشاط يكمله في جانبه الثاني قول الناقد (النقد) الذي يشير إلى العمل الأدبي مباشرة، ويصدر أقوالا عنه، ويتم هذا النشاط -من ناحية ثالثة- (مابعد النقد)؛ وهو قول آخر عن النقد، يدور حول مراجعة القول النقدي"⁵

إنه بهذا يضعنا في الإطار الذي من المحتمل أن يتموضع فيه نقد النقد بالقياس إلى المقاربات الأخرى، التي يمكن أن تقترب من مجال بحث نقد النقد كالنقد الثقافي والتفكيكية والهرمنيوطيقا وغيرها.

ولكنه يعود من جديد، بعد سنوات عديدة، إلى طرحه بمصطلح آخر هو (النقد الشارح)، وذلك في سياق التفريق بينه وبين النقد الأدبي، فيغدو النقد الشارح كما يسميه هو ذلك "المجال المعرفي الذي يصل بين حدود النقد التطبيقي وحدود النظرية، في متصل يبدأ من تصنيف عبارات النقد التطبيقي وينتهي بتحليل المفاهيم الكلية"⁶

وهو ما يؤكد التوجه العميق الذي وصل إليه (نقد النقد) بالمقارنة مع ما يعتمد عليه النقد الأدبي في مقارنته للنصوص الأدبية المختلفة؛ فلا هو نشاط مماثل لنشاط نظريات الأدب ولا هو نشاط مماثل لنظريات النقد ومناهجه.

يتطرق الباحث المغربي (محمد الدغمومي) إلى مصطلح (نقد النقد) مبرزا أهم مراميّه وأهدافه، فيقول: "إنه بناء معرفي إجرائي وظيفي يعمل باستراتيجية واحدة وينتج معرفة تصبّ في مجرى المنهجيات وتعمل باستراتيجية ليست أبدا استراتيجية التنظير أو النظرية الأدبية أو النقد، وإنما تستهدف من خلال معرفة الممارسة النقدية (آلياتها، مبادئها، غاياتها، معرفتها) الوصول إلى أحد المرامي الآتية:

- كشف الخلل فيها؛
- تدعيم هذه الممارسة؛
- تبرير هذه الممارسة؛
- تحديد تشغيل المفاهيم النقدية في ممارسة منهج ما؛
- فحص النظريات النقدية والأدبية بما هي بناءات معرفية.⁷

وهو تدّجّ إجرائي، تكمن فعاليته في الفعل التصنيفي الذي يضطلع به (نقد النقد) في معالجة المصطلحات والمناهج والنظريات، ومعرفة مدى نجاعة استعمالها وتطبيقها على النصوص الأدبية.

• ملامح نقد النقد في الخطاب النقدي الجزائري:

سنتناول فيما يلي، بعض الدراسات النقدية التي اشتغلت ضمن مجال (نقد النقد)، وسيتركز اهتمامنا على ثلاثة نقاد هم: عبد الملك مرتاض، يوسف وغليسي، وعمر عيلان.

1- عبد الملك مرتاض وكتابه: في نظرية النقد:

يستعين (عبد الملك مرتاض) تقريبا بنفس ما استعان به (جابر عصفور) في عرض مصطلح (نقد النقد) على سبيل الإيفهام و التقريب، فيقول: "يمكن أن نستعمل لذلك المعنى مثل مصطلح (اللغة الواصفة) أو (اللغة الحاوية) أو حتى (لغة اللغة) أو (كتابة الكتابة) والمصطلحان الأخيران من اقتراحنا"⁸

أي أنه يقترح علينا مصطلحين هما: لغة اللغة و كتابة الكتابة، للدلالة على ما أصبح يعرف بنقد النقد.

وبعد ذلك، يعود إلى جذر المصطلح في اللغة الأجنبية، معتبرا "أنّ ترجمة النقاد المعاصرين العبارة الفرنسية: « Métacritique »، مثلا، بمصطلح "ما وراء النقد" أو ب "ما بعد النقد"؛ وذلك كما يطلقون على: « Métalanguage » قولهم: "ما وراء اللغة" أو "ما بعد اللغة" هو من العي والفاهمة بمكان. ذلك بأنّ "الميتا" سابقة إغريقية تعني في حقل العلوم الإنسانية والفلسفية بالذات، غير ما تعنيه في الكيمياء العضوية مثلا، فهي تعني في الحقول الإنسانية الاحتواء، أكثر مما تعني الإبعاد والإخراج. من أجل ذلك لا تعتقد أنه يكون أي معنى دقيق لقولهم: "ما وراء اللغة" أو "ما وراء النقد"⁹

وحين نزل إلى ساحة النقد العربي، بحثا عن ملامح نقد النقد، في رأي مرتاض، نجده لا يعدو أن يكون معارضة لمواقف نقدية على نحو ما، وقلما "نلفيه يتسامى إلى البحث في أصول المعرفة النقدية على نحو منهجي عميق، ولعل ذلك يعود إلى أنّ العلم العربي -على عهدنا هذا- يمتلك نقادا كبارا، ولكنه لا يمتلك نقدا كبيرا"¹⁰.

ورغم ذلك، فهو يلاحظ أن هناك بعض الكتابات النقدية القديمة منها والحديثة، قد مارست نقد النقد على نحو ما، دون أن تدرج نشاطها هذا ضمن (نقد النقد) كعنوان ضخم ترصّع به أغلفة المؤلفات والأبحاث الأكاديمية.

وبالتالي، فإنه ليس بالضرورة أن يمتد الدارس النقدي لدراسته بأنه سيشتغل ضمن هذا المجال، أو يجعله عنوانا لما يكتبه، حتى نعتبره قد مارس نقد النقد؛ فكم من كتاب لم يحمل من هذا التخصص إلا اسمه، في حين أن المتن قد يكون أبعد ما يكون عنه.

تعتبر قضية التصنيف إحدى أهم أهداف العلم التي يسعى للوصول إليها، بعد أن يكون قد عضدها بالوصف والتحليل، ولكننا عندما ننظر إلى تصنيف (نقد النقد) في حقل النقد الأدبي والدراسات الإنسانية عموما، نقع في ورطة إبستمولوجية حقيقية؛ يزيد من حدتها، ما قاله الباحث (عبد الملك مرتاض) في معرض تصنيفه لميدان اشتغال (نقد النقد) فنجدته يقول: "لما كان (النقد الأدبي) مصنفا على أنه جنس من أجناس الأدب؛ فلا يمتنع لدينا أن يسمي (نقد النقد) جنسا أدبيا قائما بذاته"¹¹ !

فنتساءل في حضرة أستاذتنا تساؤل الحيران: من الذي قال بأن النقد الأدبي من الأجناس الأدبية؟ وما محل نظرية الأجناس في النقد الأدبي ونظرية الأدب عموما، وهل نقد النقد أدب أم دراسة للأدب أم دراسة للنقد؟ وهل نظرة (عبد الملك مرتاض) إلى الأدب مستمدة من مقولة (عبد الرحمن بن خلدون) الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف؟ وبالتالي، لا تعود هناك أي أهمية لتصنيف العلوم، وفصل مجالات اشتغالها عن بعضها البعض على مدى قرون؟!

إنّ القول بهذا التعريف والاطمئنان لمثل هذا التصنيف، يقلل من موضوعية الدراسات النقدية، وذلك على اعتبار أنّ التصنيف ضروري جدا في الفصل بين النظريات والمعارف والعلوم، وإلغاؤه بهذا الشكل أو التهاون بشأنه، قد يخلق لبساً لدى القارئ المبتدئ، وربما يمتد الخلط إلى طبقة الأكاديمين أيضا.

وعلى أية حال، لا ننسى أن نشير إلى أن (عبد الملك مرتاض) قد تطرق إلى بعض تجليات نقد النقد في الثقافتين العربية والغربية؛ فتطرق إلى تجربة (علي بن عبد العزيز الجرجاني)، وتجربة (طه حسين)، كما تطرق إلى تجربة كل من (رولان بارت) و (تودوروف)؛ فهي -إذن- تجربتان، اثنتان حول النقد العربي واثنان حول النقد الغربي.

2- تجربة عمر عيلان في نقد النقد:

اشتهر الباحث (عمر عيلان) ببحثين في ميدان (نقد النقد)، أولهما كان عبارة عن رسالة تقدم بها إلى الجامعة، لمناقشة دكتوراه علوم¹²، أما الثاني فهو عبارة عن كتاب بعنوان: النقد العربي الجديد، مقارنة في نقد النقد، والذي سنتطرق إلى محتوياته بالعرض والنقد.

يبتدئ (عمر عيلان) حديثه، بالتطرق إلى ما يتخبط فيه النقد العربي من مشاكل، فيقول إنّ "البحث العلمي في المصطلح النقدي العربي، بحاجة لعملية مسح شاملة للمصطلحات وجدولتها ودراسة منطقاتها وأبعادها المعرفية الحقيقية، وتخليص الخطاب النقدي العربي من النحت المفرد، والتعريب الشخصي، والترجمة الذاتية للمصطلح. وهو المجهود الذي يتطلب تضافر مجموعة من المعطيات المنبئية على قاعدة أساسية، هي الوعي بضرورة تعصير الخطاب النقدي العربي من منطلق الثقافة الإيجابية، التي تنبذ الفردانية وتؤمن بالمشروع الحداثي المشترك والمتكامل"¹³

فهو يدعو إلى الاجتماع حول المصطلح للتواضع على مقابلات واحدة، قصد تفادي فوضى الاصطلاح التي تتخبط فيها مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية عموماً. وهو في خضم كل ذلك، يطرح مصطلحاً آخر، هو عبارة عن اشتغال متقدم من اشتغالات نقد النقد، ليس على مستوى الأنا فحسب، بل حوار مع الآخر أيضاً، إنه مصطلح المثاقفة.

يقول (عمر عيلان): "إن المتأمل لحركة المثاقفة النقدية التي عرفها النصف الثاني من القرن العشرين، عكست التوجه الواضح للنقد العربي في مسعاه لتمثل الأفكار والنظريات النقدية الجديدة، وهذا المسعى يأتي في رأينا استجابة لمتطلبين اثنين هما:

1- نزعة التحرر من الخطابات النقدية الإيديولوجية بكل تبعاتها المرجعية سواء أكانت تاريخية أم اجتماعية، والنزوع لتعصير الخطاب النقدي العربي بتنويع مكوناته، وإضافة مجالات جديدة لم تشر لها البلاغة العربية التي وضعت أساساً لنقد الشعر.

2- البحث عن قواعد وضوابط منهجية وإجرائية تستجيب لمقتضيات الأشكال الخطابية الجديدة الوافدة من أوروبا بالتحديد كالجنس الروائي على سبيل المثال.¹⁴

وهي دعوة صريحة من الباحث، لملء الفراغات التي تركتها البلاغة العربية القديمة في دراستها لجماليات الشعر والقصيدة العربية عموماً، عبر فتح الأفق المقارباتي أكثر، لاستقبال آليات بلاغية ونقدية عن الغرب، ثم تعصيرها وتبنيها بما يتوافق وطبيعة المتلقي العربي، وذلك حتى تتعمق معرفتنا بالأدب والنقد بشكل أكبر.

عالج الباحث خلال صفحات الكتاب القضايا الآتية:

- الفكر النقدي العربي ومشروع الحداثة:¹⁵

ناقش فيه الشروط الحضارية للبحث عن المنهج أو مفاصل الحداثة النقدية، كما ناقش فيه مسالك انتقال النموذج النقدي الجديد إلى النقد العربي.

- النقد البنيوي:¹⁶

عالج فيه بناء الرواية لدى سيزا قاسم، كما تطرق إلى التلقين المنهجي والتعليمية التنظيرية، تلها دراسة لسعيد يقطين حول الوعي النقدي والتطويع المنهجي.

- النقد النفسي:¹⁷

تطرق فيه إلى التنظير للنقد النفسي، وكيف مورس من قبل النقاد، تلا ذلك حديث حول الاضطراب المنهجي لدى عدنان بن ذريل، والحرفية المنهجية عند عز الدين إسماعيل، وكيف جسّد جورج طرابيشي الوعي الحقيقي بالمنهج والمصطلح، لينتقل بعدها إلى التركيب المنهجي لدى رجاء نعمة، وبناء الرواية ولغة اللاوعي لدى سامي سويدان.

- النقد البنيوي التكويني:¹⁸

تعرّض من خلاله إلى ثلاثة مثقفين بارزين: محمود أمين العالم بين المساءلة المنهجية والإجراء النقدي الحر، كما ناقش التطويع المنهجي لدى حميد لحمداني: من البنيوية التكوينية إلى النقد السوسيو - بنائي، ليُمرَّ بعدها إلى مساءلة الرواية والإيديولوجية لدى سعيد علوش، من خلال مقاربتها من منظور نمط الوعي وبنية النص الروائي.

وهي قضايا جوهرية في النقد الأدبي، ناقشها الباحث بحرص شديد وحصافة نقدية بالغة الظهور؛ عضدتها تلك الاقتباسات المختلفة من المراجع الأجنبية، الأمر الذي يعكس اطلاع الرجل على الثقافة الغربية، وعدم اكتفائه بالقص واللصق، دون مساءلة نقدية.

إن التأمل في الفصول التي أتينا على ذكرها، يجعلنا ننتهي إلى أنّ الرجل قد ركز على: المثاقفة كضرورة نقدية حتمية للتجاوز مع المستورد النقدي من منظور النقد، كما عالج قضية توظيف المنهج بين الحرفية والتطويع والتركيب والوهم والاضطراب، ليتمكّن من رصد تموقع الدارسين أثناء مزاولتهم للدراسة وفق منهج معين؛ وبالتالي، فقد كانت جلّ دراسات الكاتب متمركزة على مستوى توظيف المنهج.

3- تجربة يوسف وغليسي في نقد النقد:

إن المتأمل في مؤلفات¹⁹ الناقد (يوسف وغليسي) يجد أن جلّها تحتوي على قدر غير قليل من ممارسات نقد النقد؛ على اعتبار أنّ ممارسات الباحث للتأريخ المصطلحاتي والمنهجي، ينتهي به وبأيّ باحث حصيف إلى ممارسة نقد النقد، سواء عن سابق إصرار ورصد وتصريح، أم بشكل عابر غير مصرّح به.

والمؤلف الذي بين أيدينا، هو كتاب: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري؛ وبالتالي، فإننا أمام مساءلة أخرى للمنهج، من حيث المصطلح ومن حيث فعاليته الإجرائية والتطبيقية لدى الغرب والعرب على السواء؛ فهو إذن جهد نقدي كبير.

جاء الكتاب مقسّمًا إلى ثلاثة أقسام، هذه عناوينها:

أ- المنهج الموضوعاتي - المفاهيم والأعلام

ب-/- تحولات الموضوعاتية في النقد العربي المعاصر

ج-/- محاولات تطبيقية.

ناقش الباحث في القسم الأول أهم أعلام هذا المنهج، بعد أن عرّف به ووضّح مجال اشتغاله، لينتقل بعدها إلى وصف المسالك التي انتقل عبرها المنهج إلى النقد العربي، متطرقا إلى بعض الجهود النقدية التي تبنته كمقاربة في مساءلة النص الأدبي، ليحاول في القسم الثالث من الكتاب، أن يطبق هو شخصيا هذا المنهج على بعض الأعمال الأدبية: قصيدة الأطفال عند محمد الأخضر السائحي، الهاجس الإفريقي في ثلاثية محمد الفيتوري، وعقدة جلعامش: زهاب الموت

وُغاب الحياة في جدارية محمود درويش تحت مسمى المحاولة، ليسلم من أقلام الناقد، على اعتبار أن هذا النوع من المناهج ليس رائجا كغيره بالنقد الجزائري، وأنه ما يزال منهجا فتيا لم يشتدّ عوده بعد.²⁰

يذكر (وغليسي) في المقدمة أنّ المنهج الموضوعاتيّ واحد "من أندر المناهج حظوةً وحضوراً، وأقلّها استعمالاً في الممارسات النقدية العربية، وأكثرها التباساً واستعصاءً لدى جمهور الباحثين العرب، مثلما يبدو النقد العربي المعاصر حديث العهد بهذا المنهج، سيّء الحظ منه؛ إلى درجة أنّ سائر المناهج يصطفّ بعضها وراء بعض في عموم الكتب العربية التي تُمنهج النقد و تنظر لمفاهيمه وتؤرّخ لرواده وتعرّف بمناهجه وتستحضر تطبيقاتها وتحاول تيسير كفاءات استعمالها وتعليمها؛ فتشير إلى جلّ ما يروج في صندوق النقد الأدبي من مناهج نقدية متعدّدة، لكنّها لا تكاد تنبسط ببنت شفة منهجية موضوعاتية، حيث لا مكان لهذا المنهج حتى في أهم كتب المناهج النقدية وأشهر مدونات نقد النقد العربية وأشدّها رواجاً وأغناها معرفة"²¹

ويؤكد في نهاية المقدمة، بعد أن قام باستعراض ثلّة من المدونات التي نسبت أو تناسست التطرق إلى هذا المنهج بالعرض والتحليل، وعرض تجربته الشخصية مع هذا المنهج في أبحاث نشرها سابقا ضمن بعض المجالات والكتب التي نشرها، أنّ الكلام على الكلام صعب جدّاً، "حيث تتبّعنا تحولات المنهج الموضوعاتيّ في النقد العربي، فحاولنا الإحاطة النقدية بأبرز التجارب الموضوعاتية العربية في ارتباطها بأصول المنهج أو ابتعادها عنها، كما استنبطناها في القسم الأول مما أتيح لنا من المظان المرجعية لهذا المنهج"²²

وكما ذكر المؤلف، فقد سبق له التطرّق إلى هذا المنهج في مؤلفات سابقة من بينها:

- النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية (2002م).
- مناهج النقد الأدبي (2007م) الذي صدرت له طبعات أخرى لاحقا.

وعلى أية حال، فإنّ مؤلفات نقد النقد قد راجت في أيامنا هذه (2021م)، وصار العديد من النقاد يعنونون كتبهم بهذا العنوان، في الدرجة الثانية، فيصيب بعضهم لبابه ولا يكتفي بالاقون سوى بالقشور، لأسباب يعلمها النقاد المتمرسون والباحثون العارفون بالشأن التجاري للكتب، ويجعلها القراء المتواضعون، الذين تولّع عقولهم بكل جديد ولو كان محتواه لا يسمن من نحافة ولا يشبع من جوع ولا يروي من عطش.

ومن الضروري أن نشير إلى أنّ ممارسة نقد النقد بشكل موضوعي من الصعوبة بمكان، وذلك لما تعترضها من عقبات ومعوّقات، نذكر منها على سبيل المثال: "الانتقائية، والاحتذاء، والتعميم، والتلفيق، والادّعاء، والاعتذار، والتحوّل"²³

فقد يمارس الباحث نقده على خطاب نقدي آخر انتقاما، وقد يفعله حبا في صاحبه أو اعتذارا عن خطأ أو اتهاما على سبيل الحسد أو تقليدا لكتّاب آخرين بحثا عن الشهرة، وقد يخفق فيلجأ إلى إطلاق التعميمات بعد بحث قصير أتعبه فيظنّ أنّ نتائجه يصلح تعميمها، إلى غير ذلك من المسالك المحفزة على كتابة ما نسميه ب: نقد النقد.

ليس نقد النقد محصورا على النقد الأدبي وحده؛ فعندما نتدرّج تاريخيا في نظريات الأدب ومناهج النقد مثلا، نجد أنّ كلّ نظرية لاحقة جاءت كردّ فعل على النظرية التي سبقتها أو عاصرتها، مثلما نجد أنّ أيّ منهج نقدي قد مارس فعل نقد

النقد على منهج نقدي سابق، وبالتالي فإنَّ فعالية نقد النقد حاضرة بالتوازي منذ بدأت نظرية الأدب ومناهج النقد في التشكُّل، وتظهر هذه الفعالية بشكل خاص في تلك البينية النقدية بين ما هو سابق وما هو لاحق.

وحين يمارس الدارسُ نقدَ النقد، يصبح التأريخُ فعلاً ثانوياً؛ فلا يُستعان به إلا لصناعة الرأي النقدي إزاء المصطلح أو المنهج أو النظرية أو الاتجاه أو المدرسة، قبولاً أو رفضاً مع اقتراح البديل.

خاتمة:

لقد تطرّقنا فيما سبق إلى بعض تجليات نقد النقد في الخطاب النقدي الجزائري، مركّزين على كلّ من: عبد الملك مرتاض، ويوسف وغليسي، و عمر عيلان، دون أن نصرّ على أنهم رؤوس نقد النقد في الجزائر، وإمكانية العثور على وجوه أخرى، نظّرت لهذه الفعالية ومارسته إجرائياً مع مدونات نقدية عربية وجزائرية، على شاكلة ما يكتبه الباحث (عبد الملك بومنجل)، أو (راوية يحيياوي)، أو (محمد مرتاض)، أو (بشير خلدون)، أو (ابراهيم عباس)... وغيرهم كثير.

إننا بحاجة إلى محاولات جادة، تؤصّل لهذه الفعالية، وتعقد لها الملتقيات وتضع حولها الكتب والدراسات، رغبة في استظهارها، وحباً في ترويجها على مرأى من الباحثين والباحثات، لتنال حظّها من التنظير والتطبيق.

- (1) عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م، ص09.
- (2) تزفيتان تودوروف، نقد النقد رواية تعلم، ترجمة: سامي سويدان، مراجعة: ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد العراق، 1986م.
- (3) مقال جابر عصفور بعنوان: نقاد نجيب محفوظ ملاحظات أولية، مجلة فصول، العدد 01، المجلد 01، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م، ص177.
- (4) المرجع نفسه، ص164.
- (5) المرجع نفسه، ص164.
- (6) جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص287-288.
- (7) محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، سلسلة رسائل وأطروحات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ص52 وما يليها.
- (8) رعبد الملك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة، دط، الجزائر، 2010م، ص222.
- (9) المرجع نفسه، ص224.
- (10) المرجع نفسه، ص227-228.
- (11) المرجع نفسه، ص228.
- (12) عمر عيلان، النقد الجديد والنص الروائي العربي دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه، إشراف: أ. د عبد الحميد بورايو، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006م.
- (13) عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقارنة في نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2010م، ص44.
- (14) المرجع نفسه، ص17.
- (15) المرجع نفسه، ابتداء من ص11.
- (16) المرجع نفسه، ابتداء من ص55.
- (17) المرجع نفسه، ابتداء من ص121.
- (18) المرجع نفسه، ابتداء من ص187.
- (19) من ذلك مثلا: كتاب مناهج النقد الأدبي، وكتاب في ظلال النصوص تأملات نقدية في كتابات جزائرية، وغيرها.
- (20) ينظر: يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري بحث في ثوابت المنهج، وتحولاته العربية، ومحاولات لتطبيقه، جسر للنشر والتوزيع، ط1، المحمدية الجزائر، 2017م، ابتداء من ص17 إلى ص75.
- (21) المرجع نفسه، ص07.
- (22) المرجع نفسه، ص13.
- (23) مجلة فصول، عدد 70، شتاء-ربيع 2007م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص283.

قائمة المصادر والمراجع:

- تزفيتان تودوروف، نقد النقد رواية تعلم، ترجمة: سامي سويدان، مراجعة: ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد العراق، 1986م.
 - جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
 - عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م.
 - عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة، دط، الجزائر، 2010م.
 - عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقارنة في نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2010م.
 - محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، سلسلة رسائل وأطروحات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م.
 - يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري بحث في ثوابت المنهج، وتحولاته العربية، ومحاولات لتطبيقه، جسور للنشر والتوزيع، ط1، المحمدية الجزائر، 2017م.
- المجلات:
- مجلة فصول، العدد 01، المجلد 01، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م.
 - مجلة فصول، عدد 70، شتاء- ربيع 2007م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.